عمرًا طويلًا وبلغ من التدلسة درجةً سامية فكرَّمه الناس واستشفعوه. وبعد موته بعدَّة سنين ظلُّوا سلفاً عن خلف يتحدثون بمخبر الوالد وفضائل ابنه التي بقي ذكرُها حيًّا يطير اريجها الانحاء. ولسانُ حالهم يقول :

وربَّ آكلةٍ منعت اخاها بلذَّةِ ساعةٍ آكلاتِ دهرِ
وكم من طالبٍ يسعى بشيءٍ وفيه هلاكه لو كان يدري

خطبة في رأس العام

للجاثليق اليًا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي

المقدمة

بين المخطوطات التي دخلت في العام المنصرم في مكتبتنا الشرقيَّة كتاب متوسط الحجم عريض الجانبين مجلَّد بجلد احمر قاتم ومخطوط على ورق صفيق وبقلم غليظ عدد صفحاته ٢٨٠ وتاريخهُ سنة ٧٠٤٣ لآدم (١٥٣٥ م) وهو يحتوي على خطب الجاثليق انطوري ايليًا الثالث الشهير بابي حليم ابن الحديثي المتوفى سنة ١٥٠١ للبونان (١١٩٠ م) . وخُطبهُ هذه شهيرة طبعها في الموصل القس يعقوب الكلداني سنة ١٨٧٣ ثمَّ تجدَّد طبعها تحت عنوان « التراجيم السنية للاحياد المارانيَّة سنة ١٩٠١ ومنها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة . وفي كل منها بعض خطب لم تذكر في الطبعة الموصلية . وقد نشرنا منها قسماً في المشرق سابقًا . وكلُّها ممتاز بلاغتها وطلاوة سجعها دون تكلُّف . وفي هذه النسخة الجديدة التي عوَّلنا عليها صدقنا الكتبيّ يوسف افندي اليان مركيس في مصر خطبٌ لم نعثر عليها في غيرها . وما نحن نروي الاولى منها بسبة رأس العام الذي يُعرَّف ايضاً بالنيروز وهي لفظة فارسية تدلُّ على اوَّل يوم السنة . واما اسم الترجام فلفظة سريانيَّة بمعنى الموعظة . وهذه الخطبة يتلوها الاقباط في كنائسهم دون تعريف مؤلفها وقد درَّجوا فيها مناداة الخطيب لرؤساء كنيستهم

ل . ش

ترجام لانيروز

الحمدُ لله معرِّفِ الأعمار بالأعوام والأعوام بالشهور ، مميِّزِ الشهور بالأيام والجُمَع والأهلَّة والبدور ، مزيِّن الحياة بالامن زينةَ الطروس بالسطور ، ومكتلها بشريف المناقب وحميد المواقب والفرح والسرور ، نحمدهُ على ما وهَبَنا من البركات في الاولاد

والارزاق والاعمار ، نحمدهُ على ما منحنا بهِ من تعاقُب الاحقاب والاجيال والادوار ، ونستشفع اليهِ برُسلهِ المبشّرين بهِ في الرساتيق والمدن والامصار ، المبرّين القارب بالايمان استنارة الليالي بالأقمار

أيها السادة الهُداة رؤساء الاقباط ، واخاير الأراخنة ووجوه الاسباط ، حَولكم المتحوّل عنكم قد أودَعكم نفائسهُ وودَّعكم بالسلامة ، ونوروزكم القادم عليكم قد اتى يبشّركم بالامن والصحّة والاستقامة ، وعامكم المقبل عليكم قد اقبل يهنّئكم بطول اللُّبث في هذه الدار والإقامة ، ويُشعركم بما سينعم الله بهِ عليكم في يوم القيامة ، فتبرَّروا وتطهَّروا في أيامهِ وجُمَعهِ وشهورهِ ، وانقلوا فيهِ ازوادكم الى أفنية ملكوت مالكهِ وقصورهِ ، وتقرَّبوا الى الله تعالى واحدًا فواحدًا بمُشورهِ وبكورهِ ونذورهِ ، وأرسلوها اليهِ صُحبةَ من حالت احوالهُ واختلّت جميع امورهِ ، فانها تزيد في ارزاقكم للواحد مئة ضعف وتورثكم حياة الابد ، وتصرف عنكم اسباب الهمّ والغمّ والاكتئاب والنَّكد ، وتبارك لكم في المِهنَة والرزق والولد

فقابلوا هذه النعمة بما يَقرنُ سبوغها عليكم باستمرارها ، واشكروا الله شكرًا يقضي بازديادها لكم واستدرارها ، واعلموا انَّ الشكر يُختَم عنها وان كان لا ينهض ببعض مقدارها ، وانما يجب علينا ان نتقرَّب اليهِ بما تَصل قدرتنا اليهِ من حمدهِ وشكرهِ ، ويتوجّه اليهِ الانسانُ منّا بسلامة صدرهِ وطهارة فكرهِ ، فالله تعالى لا يكلّف احدًا فوق طاقته وقَدرهِ ، ولا يريد منهُ سوى العمل لآخرتهِ في جميع عمرهِ

فاعملوا اعمالًا مرضية توصل سُفنَ ارواحكم الى بُور بحار الفراديس وميناها ، وتبلّغ نفوسكم فيها ابلغ مقاصدها واقصى مُناها ، ويُشرق عليكم كالأقمار في كمالها والشموس في سناها ، ويكنكم منازل متنسّمة الطُّلى أسُسُها وهو الذي بناها . فتلقَّوا هذا العام بأطهر الافكار والآمال . وقدّموا فيهِ اصدق الاقوال والأعمال ، وواصلوهُ بالابتهالات والصلوات والصيام ، وتجنَّبوا كلّ ما يوجب التنغيص واللام ، فكما تحبّون انفسكم أحبّوا البعيد والقريب ، واجبروا قلب الارملة واليتيم والغريب ، اقبلوا اوامر كهنتكم في الله بالسمع والطاعة ، واخدموهم بنفوسكم وتفانسكم فخدمتهم اكسبُ الصناعة ، طاعوا الناس طرًّا بالحقّ والإنصاف ، وافعلوا معهم

الافعال الكاملة الاوصاف ، واسترزقوا من وجوه الحلال وتجنّبوا جهات الحرام ، فالرزق الحلال ينمي ويثري فيبلّغ به المرام ، والحرام يقطع ويفري وحبلهُ سريع الانصرام ، فلصاحبهِ نارٌ سعيرها شديد الاضطرام ، فيا لسعادة من استعدَّ لقبول هذه الوصايا الربّانية ذات النعم الغزار ، ويا لشقاوة من خلف وأعدَّ نفسهُ حطباً لتلك النار ، ويا لنعيم من استحق بالعدل والزكاة الاجتماع بالابرار ، ويا لجحيم من باع نفسهُ بالدرهم الحرام والدينار ، فهنيئاً لمن اعدَّ مائدتهُ لإطعام الصائم الجائع وفطوره ، وويلاً لمن أخلَّ بالقيام بعهود الله ونذوره ، سحقاً لمن سحق نفسهُ في هاوُن الكبرياء والصَّلف ، وخسْفاً لمن خسفها بحبل الحسد فلقد اشرف على التلف ، فاي عذاب لمن لم يؤمن باقوال الله تعالى وكفر بهِ وجحدهُ ، واي عقاب لمن لا يحبّ قريبهُ ولا يصون من الاذى نفسهُ وجسدهُ ، وويلاً ثمّ ويلاً لمن سلّم نفسهُ للفجور ، وما انجس حظّ من شهد شهادة الزور ، ولقد اخزى الله من استخفَّ بحقّ والديهِ في يوم البعث والنشور ، ويا حسرة من تجرّأ على الأيمان الكاذبة في كلامهِ ، ويا بؤس من غفل عن نفسهِ بالتوبة فيقبضها بأدرانها ملاكُ حِمامهِ

اعاذكم الله من ان تكونوا من اولئك ، وحاشاكم من سلوك هذه المسالك ، المؤدّية الى اشدّ المهالك ، والله تعالى يوفقكم للاعمال الصالحة في كلّ اعوامكم من مبدإ هذا العام ، ويزيّن حياتكم بالبرّ والتقوى والقداسة مدى الايام ، ويمتعكم من الاعمار الهنية بأطولها ، ويجعل اواخر اعمالكم متصلة ببداءة اعماركم واولها ، ويوبكم امثال هذه السنة السنيّة ويبلّغكم منها نهاية الأوطار ، ويفيض فيها عليكم البركات ويرخص لكم الاسعار ، ويحظيكم باعتدال الهواء وخصب الزرع والاثمار ، ويجمع شملكم بأخواتها الى ان تبلغوا اطول الاعمار ، وتنتقلوا الى ارحب منزل واسعد محلّ في تلك الدار ، ويُبقي ذكركم بعدكم مثلاً حسناً مشهوراً في الآفاق والاقطار ، وتاريخاً صالحاً يُعتبَر بهِ أحسن التواريخ واطيب الاخبار ، بشفاعة سيّدة نساء العالمين ، وجميع الشهداء والاطهار القديسين آمين